































































١٢ - وكان سعيد مجاهداً بطلاً ، أكتفي للتدليل على ذلك بالإيماء إلى أمرين أيضاً ، تحدثنا عنهما في أحداث حياته .

أول هذين الأمرين : الفتوح العظيمة التي استطاع أن يحققها وكيف كان يجوب المنطقة الشرقية كلها وينشر فيها كلمة التوحيد لا يهاب قوة ، ولا ترده عقبة .

والأمر الثاني موقفه الشجاع يوم الحصار ، فلقد ضم سعيد في ذلك الموقف السوفاء إلى الشجاعة ، وخاطر بحياته ، وتلقى الأذى والجراح .

وكانت شجاعته مربوطة بعقيدته ، فلا تجدها وحدها ، كما حدث لكثير من الشجعان في الزلات التي يتعرضون لها .

فاذا حمي الوطيس في الفتوح وجدته المجليّ المقدام ، وإذا تأزم الوضع ، وغلت نيران الثورة الباطلة على الإمام الصادق ألفتته هناك مقاتلاً شجاعاً لا يبالي بحياته لاحقاق الحق وإزهاق الباطل ، أما إذا كانت المعركة تشوبها الشكوك والشبهات انسحب منها وحمل غيره على الانسحاب .

وهذه شجاعة أصحاب العقيدة .

١٣ - وكان سعيد فصيحاً بليغاً خطيباً وبحسبه فخراً أن تكون عربية القرآن قد أقيمت على لسانه ، ويا له من وصف



رائع ذلك الذي ذكره مترجموه « كان أشبه الصحابة لهجة برسول الله » قال الجاحظ في « البيان والتبيين » :

[ ومن الخطباء سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية • قيل لسعيد بن المسيب : من أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : ليس عن هذا نسألك • قال : معاوية وابنه وسعيد وابنه •

وما كان ابن الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طلاوة • فمن العجب أن ابن الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً وهم لا يحفظون لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلا ما لا بال له [ (١)

١٤ - وأما عن جوده فحدث ولا حرج ، فعن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت : إني نذرت أن أعطي هذه البردة لأكرم العرب • فقال : « أعطيها لهذا الغلام » وهو واقف - يعني سعيد بن العاص - (٢) •

كان كثيراً ما يجمع أصحابه يوم الجمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير ، وكان يصر الصرر فيضعها بين يدي المصلين من ذوي الحاجات في المسجد (٣) •

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣١٤

(٢) الاصابة ج ٢ رقم الترجمة ٣٢٦٨

(٣) البداية والنهاية •



وله قصص رائعة في الكرم قلّ أن نجد لها نظيراً فمن ذلك:  
أن رجلاً من العلماء أصابته فاقة شديدة ، واقتقر حتى لم يعد  
يجد شيئاً يأكله ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا يوصف بكرم  
قلوبه ذكرت له حالك فلعلة يسمح لك بشيء •

ولكن العلماء كانوا ذوي نفوس عفيفة أبية ، فصعب عليه  
الأمر ، ورآه كبيراً لا يقوى عليه ويهون بجانبه الجوع والموت  
فقال لها : ويحك لا تحلقي وجهي •

وألحت عليه في ذلك ، وما زالت تلح حتى جاء إلى مجلس  
الأمير ، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً في مكانه ،  
وخانه لسانه فما عاد يتحرك ، وجف ريقه ، ولم يقو على السؤال •

أدرك الأمير ذلك من الرجل فقال لغلمانه : انصرفوا ، ثم  
قال : لم يبق غيري وغيرك فماذا تريد ؟

وهمّ بالكلام لكن نظراته زاغت ، والكلام الذي زوره في  
نفسه تدد ولم يستطع أن يسأل •• فظل ساكناً ، فقام سعيد إلى  
المصباح فأطفأه ثم قال : رحمك الله لست ترى وجهي فاذا ذكر  
حاجتك •

فقال : أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأجبت ذكرها  
لك فاستحييت فقال له : إذا أصبحت فائق وكيلي فلاناً •



فلما أصبح الرجل لقي الوكيل ، فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشيء فأت بمن يحمله معك .

فقال : ما عندي من يحمله ، ثم انصرف الرجل إلى أمراته يلومها ويعنفها قائلاً : حملتني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله ، وما أراه أمر لي إلا بدقيق أو طعام ولو كان مالا لما احتاج إلى من يحمله ولأعطانيه .

فقال له زوجته : مهما أعطاك فخذ ، فإنه يقوتنا ، ونحن جياع ولم يعبأ الزوج هذه المرة برغبة زوجته وسخط عليها .  
فما لبث أن جاءه الوكيل وقال : إني أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك .

فذهب الرجل وجاء بما أمر له الأمير ، ولما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم . فقال للغلمان ضعوا ما معكم وانصرفوا . فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها<sup>(١)</sup> .

— وسأل أعرابي سعيد بن العاص فأمر له بخمسمائة .  
فقال الخادم : خمسمائة درهم أو دينار . فقال : إنما أمرتك

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٥





بخمسمائة درهم وإذ قد جاش في نفسك أنها دنائير فادفع  
خمسماية دينار •

فلما قبضها الأعرابي جلس يبكي • فقال له : مالك ؟ ألم  
تقبض نوالك ؟ قال : بلى والله ! ولكن أبكي على الأرض كيف  
تأكل مثلك (١) •

قال سفيان بن عيينة : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل  
فلم يك عنده ما سأل قال : اكتب عليّ بمسألتك سجلاً الى أيام  
يسري (٢) وقد ركبته من أجل ذلك ديون كثيرة حتى اضطر ولده  
عمرو أن يبيع داره الشهيرة بالقصر ليقتضي ديون أبيه •

لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة في قصره قال لابنه عمرو:  
إذا أنا مت فاعلم قومي ، فإذا واريثني فانطلق إلى معاوية فاعني  
له ، وانظر في ديني ، واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تقبل  
واعرض عليه قصري هذا • فلما مات آذن به الناس فحملوه من  
قصره حتى دفن بالبقيع ، ورواحل عمرو بن سعيد مناخة استعداداً  
للسفر •

فغزاه الناس على قبره ، وودعوه ، فارتحل إلى الشام ،  
وكان هو أول من نعى أباه لمعاوية ، فتوجع معاوية له وترحم عليه

(١) المصدر نفسه ج ٨ ص ٨٦

(٢) عيون الأخبار ١ : ٣٣٧



ثم قال : هل ترك ديناً ؟ قال عمرو : نعم . قال : كم هو ؟ قال : ثلاثمائة ألف درهم . قال معاوية : هي عليّ . قال عمرو : قد ظن ذلك ، وأمرني ألا أقبله منك ، وإن أعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه . قال معاوية : فأعرض عليّ . قال : قصره بالعرصة . فقبل معاوية وقال : قد أخذته بدينه . قال عمرو : هو لك على أن تحمل ثمنه إلى المدينة وتجعلها بالوافية [ والدرهم الوافي أكثر من درهم ونصف ، إذ هو درهم وأربعة ودائق ، والدائق سدس الدرهم ] .

قال معاوية : نعم ، فحملها له إلى المدينة .

وشرع عمرو يفرقها في غرمائه ، وكان أكثرها عطايا وعد بها عندما كان يسأل ولا يجد ما يعطيه للسائل . وأتى في عداد الغرماء شاب صعلوك من صعاليك قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه . فاستغرب عمرو هذا الصك ، وأرسل إلى المولى فأقرأه الصك ، فلما قرأه بكى ، وقال : نعم ، هذا خطه وهذه شهادتي عليه .

فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى على أبي عشرون ألف درهم وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش ؟

قال : أخبرك عنه ، فاسمع قصته :



مر سعيد بعد عزله ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلاّ أني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك • فقال سعيد لي : كتني بصحيفة ، فأنته بهذه ، فكتب على نفسه هذا الدين وقال : إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا ، فإذا جاء شيء فأتنا •

فقال عمرو : لاجرم ، والله لا يأخذها إلا بالوافية ، ودفع إليه عشرين ألف درهم وافية<sup>(١)</sup> •

لقد كان سعيد يأبى أن يكون كرمه مقصوراً على حياته •• بل يريد أن يستمر بعد مماته ، ومن هنا أبى أن يتولى معاوية قضاء دينه ، ويؤيد هذا ما جاء في وصيته حيث قال لبنيه لما حضرته الوفاة :

« لا يفقدن أصحابي غير وجهي ، وصلوهم بما كنت أصلهم به ، وأجروا عليهم ما كنت أجري عليهم ، واكفوهم مؤونة الطلب فإنّ الرجل إذا طلب الحاجة اضطرت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يردّ • فوالله لرجل يتلمل على فراشه يراكم موضعاً لِحاجته أعظم منه عليكم مما تعطونه »<sup>(٢)</sup> •

(١) الأغاني ج ١

(٢) البداية والنهاية .



١٢ - هذ غيضم من فيض من أخبار هذا الرجل العظيم  
وما أجمل قول الفرزدق فيه :

ترى الشم الججاج من قريش  
إذا ما الأمر في الحدثان عالا

قياماً ينظرون إلى سعيد  
كأنهم يرون به هلالا

وقال معاوية : كريمة قريش سعيد بن العاص

رحمك الله أبا عثمان ، ورضي عنك ، وجزاك عن الاسلام  
خيراً فأنت معدن الكرم وأبو المروءة وصاحب الراية وذو العصابة .  
- إن سعيد بن العاص صورة حية رائعة لشباب ذلك  
العصر ورجاله وما أحوجنا إلى مثل هذه النماذج في أيام المحنة  
وساعة العسرة التي تجتازها أمتنا اليوم .

علينا أن نستأنف الحياة الاسلامية الفاضلة الزاخرة بأمثال  
هذه الطاقات ، فهي وحدها سبيل النجاة وطريق الخلاص .  
« لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ألا وهو الدين »

